الدولة العثمانية في الروايات العربية زمن الخيول البيضاء نموذجاً

Nisreen OQLAH*

Arap Romanlarında Osmanlı Devleti "Beyaz Atlar Zamanı" Örneğinde

Öz

Osmanlı Devleti Arap topraklarında yüzlerce yıl hüküm sürmüş ve ciddi nüfuza sahip olan bir devlettir. Dolasıyla onun yaşamış olduğu güç ve zayıflık dönemleir, zafer ve yenilgileri bu topraklarda geçirdiği döneme de etki etmiş, şiir olsun nesir olsun edebiyat sanatı da bu etkiden nasibini almıştır.

Temizde, Osmanlı dönemi hakkında yazılmış sekiz ayrı romanı genel olarak ele almamızın yanı sıra, içlerinden Filistinli yazar İbrahim Nasrallah'a ait olan Beyaz Atlar Zamanı adlı romanı detaylı ana örnek olarak işleyerek bu romanlardaki Osmanlı imajını inceledik. Tezimiz, bu romanların tamamında Osmanlı Devleti'nin zalim, zorba ve despot bir şekilde ele alındığını ve nesiller boyu Arap topraklarında sözel olarak aktarılan olumsuz Osmanlı imajının bu tarihsel olayları ele alan romanlara da etki ettiğini ortaya çıkarmıştır.

Ancak şunun da altını çizmekte fayda vardır ki, bütün bu eserler Osmanlı Devleti'nin zayıflama ve gerileme dönemi olan son dönemini ele almasının yanı sıra, sadece Osmanlı'ya karşı değil, İngiltere, Fransa ve İsrail gibi birçok devlete karşı da aynı olumsuz bakış açısıyla yaklaşmıştır.

Anahtar kelimeler: Osmanlı, Türkçe, Filistin, Atlar, İmparatorluğu, Roman

Ottoman Empire in the Arab Novels: In the Example of "Time of White Horses"

Abstract

The Ottoman Empire of the most important countries which extended its influence to the Arab countries and rule it for many years as these countries have been affected by all change occurred in the Ottoman Empire from the weakness and the strength and the victory and defeat; therefore had a share in the Arabic literature of poetry and prose, and in our article that we will take a light on its share of the Arabic novels.

Where were extrapolated image of the Ottoman Empire in eight samples of Arabic novels in general, and took the Palestinian novel " The Time Of White Horses " for the writer Ibrahim Nasrallah as a detailed model for the review of the Ottoman country's image therein; where these mentioned stories agreed to the Ottoman Empire as an injustice and tyranny and cruelty country, those negative image that appear of the Ottoman Empire was a reflection of the historical novels and what generations passed on orally from one another.

It should alarm all of these novels dealt with the Ottoman Empire in the last period of its rule, a period of weakness and collapse, and that these novels were not biased against the Ottoman Empire but is also reflected injustices images from other countries such as Britain, France, Israel and others.

Keywords: Ottoman, Turkish, Palestine, Horses, Empire, Novel.

ملخص

الدولة العثمانية من أهم الدول التي امتدّ نفوذها إلى الدول العربية وحكمتها لسنوات طويلة حيث تأثّرت هذه الدول بكل تغيّر طرأ على الدولة العثمانية من ضعف وقوة ومن انتصار وهزيمة؛ لذا كان لها نصيب في الأدب العربي من شعر ونثر، وفي مقالتنا هذه سنلقي الضوء على نصيبها في الروايات العربية.

* المحاضر في كلية العلوم الإسلامية بجامعة سكاريا، قسم اللغة العربية (noqlah@sakarya.edu.tr)

DOI: http://dx.doi.org/10.17335/sakaifd.303049
Geliş T. / Received Date: 30/03/2017 Kabul T. / Accepted Date: 30/05/2017

حيث تمّ استقراء صورة الدولة العثمانية في ثمان عيّنات من الروايات العربية بشكل عام، وأخذ رواية "زمن الخيول البيضاء" الفلسطينية للكاتب ابراهيم نصر الله كنموذج تفصيلي لاستعراض صورة الدولة العثمانية فيها؛ حيث اتفقت هذه الروايات المذكورة على تقديم الدولة العثمانية كدولة ظلم واستبداد وقسوة، تلك الصورة السلبية التي ظهرت بها الدولة العثمانية كانت انعكاساً للروايات التاريخية وما تناقلته الأجيال مشافهة بعضها عن بعض .

ويجدر التنبيه أن جميع هذه الروايات تناولت الدولة العثمانية في الفترة الأخيرة من حكمها وهي فترة الضعف والانهيار، كما أن هذه الروايات لم تكن متحيزة ضد الدولة العثمانية بل هي كذلك عكست صور الظلم من دولٍ أخرى كبريطانيا وفرنسا وإسرائيل وغيرها.

الكلمات المفتاحية: العثمانية، تركية، فلسطين، الخيول، الامبراطورية، الدرك، رواية.

المقدمة:

تحتل الدولة العثمانية مكانة شامخة في تاريخ البشرية إذ حملت لواء الإسلام، وفتحت به أرجاء أوروبا وآسيا، وظلت أوروبا الصليبية تخشاها قروناً عدّة وتتحيّن الفرص للقضاء عليها وقدْ كان.

ولما كان الإسلام لواءً للدولة العثمانية كانت لها القوة والهيمنة فخضعت لها كثير من الدول وكان من بينها الدول العربية التي اعتبرت السلطان العثماني خليفة النبي (صلى الله عليه وسلم). واستمرت الدولة العثمانية في التوسع والانتشار وبناء علاقات طيبة مع الدول المجاورة.

ولقد حكمت الدولة العثمانية البلاد العربية لأكثر من أربعة قرون لذا فقد كان لها نصيب في الأدب من شعر ونثر؛ إذ أن الأدب هو الصورة الصادقة التي تنعكس عليها أفكار أي أمّة.

في مقالتنا هذه سنسلط الضوء على تلك الصورة ومدى انعكاسها في فكر الدول العربية وبالتالي انعكاسها على فكر بعض أدبائنا العرب في تناولهم لصورة التركي في رواياتهم ونخص رواية زمن الخيول البيضاء للكاتب إبراهيم نصر الله في استعراض تفصيلي لتلك الصورة.

وقد تم تقسيم العناوين إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: التعريف بالدولة العثمانية وعلاقتها بالعرب.

القسم الثاني: الدولة العثمانية في الروايات العربية.

القسم الثالث: التعريف بالكاتب ابراهيم نصر الله وروايته " زمن الخيول البيضاء".

القسم الرابع: الدولة العثمانية في زمن الخيول البيضاء.

الدولة العثمانية وعلاقاتها بالعرب:

ورد في تاريخ الطبري[1] أن بداية اتصال العرب بالترك كانت سنة 54 هـ، زمن معاوية بن أبي سفيان عندما سيّر الجيوش لفتح خراسان بقيادة عبيدالله بن زياد، حيث تتابعت الفتوحات من بعده خاصة بعد مقتل الملك التركي (كورصول) على يد القائد نصر بن سيار بعد أن أسره قائد الجيش عاصم بن عمير سنة 121ه[2]، وما تبعه من دخول الترك في الإسلام، ومخالطة العرب في البلاد الإسلامية.

لكن الظهور التركي أصبح بارزاً في التاريخ العربي منذ العصر العباسي الثاني، ويمكننا تقسيم تاريخهم هذا إلى مرحلتين كبيرتين أساسيتين؛ فالمرحلة الأولى تبدأ بظهورهم في بغداد رقيقاً إبان عهد المعتصم وتنتهي بوصول قادتهم إلى الحكم الفعلي إبان عصر الخلفاء الضعفاء ومن ثم سيطرتهم فعلياً على زمام الحكم اعتباراً من الظاهر بيبرس.

أما المرحلة الثانية فتبدأ بحكم الأتراك العثمانيين للبلاد العربية عام 1516 م، بعد أن قامت دولتهم واشتدّ ساعدها واستمرت هذه المرحلة أربعة قرون انتهت بالثورة العربية الكبرى سنة 1916م[3].

إن الدولة العثمانية عندما ضعُفت لم تستطع حماية البلاد العربية من الدول الأجنبية والتي بدأت بالتحكم بالبلاد العربية، والعثمانيين لا يستطيعون ايقاف هذا التحكم وعندها بدأ العرب بالتحرك من منظور قومي ضد الأتراك . لذلك اتخذت الدولة العثمانية سياسة إبعاد الأمراء العرب عن بلادهم؛ فلقد أُرسل الأمير عبدالله وأولاده الأربعة إلى إسطنبول ثم أُعدموا هناك. ولأن السلطان عبد الحميد الثاني كان يشكّ بولاء الشريف حسين وقد كان الشريف حسين وقتها أميرا أرسله إلى الأستانة عام 1893 م، لكنّه لم يقتله بل أبقاه تحت عينه. وبعد أن عاش الشريف حسين في إسطنبول واطّلع على مستوى الضعف بالدولة العثمانية وجد أن الاتحاديين سيلغون الخلافة، وأن العثمانيين ينظرون إلى العرب كالعبد وأن والي الحجاز لم يكن على أخلاق طيبة وإسلامية لذلك قرر حماية الحجاز وتخليصها منهم ولذلك قام بالاستعانة بالإنجليز لإنجاز هذا الأمر على الرغم من مساعدة الإنجليز لليهود لدخول

1 أيو جعفر محمدبن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث،بيروت، الطبعة الثانية،1387هـ، ج:5، ص: 297- 298.

2 المرجع السابق، ج:7، ص: 174- 175

3 د. نعيم اليافي وماهر المنجد, صورة التركي في الشعر العربي الحديث، شعر المشرق والمهاجر, دار الحوار للنشروالتوزيع، سورية، الطبعة: الأولى:1995م ص23.

فلسطين وهذا يدل على أن الشريف كان يطمع بالحكم بغض النظر عما فعلته انجلترا بفلسطين[4].

يقول السلطان عبد الحميد: (إن الشريف حسين لا يحبنا. إنه الآن ساكن وهادىء لكنّ الله وحده يعلم ماذا يمكن أن يفعله الشريف غداً) لذلك تأخر قيام الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين إلى ما بعد خلع الاتحاديين للسلطان عبد الحميد[5].

في سنة 1908م، أعلن عبد الحميد المشروطية الثانية وهو ما أسعد سوريا ومصر ولبنان لكنّ الشعوب الأخرى من العرب شكّكت بهذا القانون وبدأ العصيان في بعض المناطق، فانتهزت انجلترا تلك الفرصة للإساءة إلى الدولة العثمانية باستخدام طرق متعددة كنشر المطبوعات والصحف والجاسوسية لإثارة الدول ضدها.

وكذلك نشر تشويهات منها: أن السلطان محمود الثاني يلبس الملابس الفرنسية ويجبر رجال الدولة على لبسها. وأن السلطان عبدالمجيد يبيح الربا والخمر، وأن الأتراك جعلوا العرب بدون خلافة. وبسبب هذه الحملة من التشويهات بدأ العرب بفقْد ثقتهم بالدولة العثمانية[6].

تعتبر المشروطية علامة فارقة في تاريخ العرب والعثمانيين فلقد شاركت النخبة العربية فيها بداية الأمر وما لبثت أن انقلبت ضدها نتيجة الممارسات التي زاولها الاتحاديون ونتج عنها حوادث كثيرة كان أبرزها إعدام المثقفين العرب الشباب في بلاد الشام.[7]

كما ترتب عن عقد إتفاقية (سيفر) بين تركيا وفرنسا ترك الأتراك لدعمهم للسوريين ومساندة الفرنسيين في إسقاط الملك فيصل عام 1920 م.[8]

كما أن القومية التركية التي نادى بها ضباط الاتحاد والترقي بعد أن درسوا في جامعات فرنسية وألمانية ومن معهم من يهود الدونمة ونادوا على إثرها بالتتريك لجميع ولايات الدولة

4 Ömer Sağlam, *Çöldeki Osmanlı ve Kavm-i Necib*. TDV Yayınları. Ankara 2003, s. 190- 195

5 علي محمد صلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، مصر، الطبعة الأولى 2001،ص: 435

6 Sinan Marufoğlu, *2. Meşrutiyet Sonrasında Avrupalı Devletlerin Arapları Osmanlı Devletine Karşı Kışkırtma Girişimleri*. İslam Tarih Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, İstanbul 2012, s. 226-227

7 سيّار الجميل، العثمنة الجديدة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2015 بيروت، ص: 42

8 M.Talha ÇİÇEK, "Osmanlıcılık İdeolojisi ve Osmanlı Hakimiyeh Sonrası Türk-Arap İlişkilerinde Değişim ve Süreklilik", *Divan*, cilt 17, sayı 33 (2012/2), s.173-192.

العثمانية، خلقت قومية لدى العرب مضادة لم تستطع الدولة العثمانية ايقاف انتشارها، فلقد نادى السلطان عبد الحميد بالاتحاد تحت القرآن واللغة العربية لكن دون جدوى، وكان أحد نتائجها أن نادى الشريف حسين بالثورة على الدولة العثمانية رافعاً شعار القومية العربية بمساندة انجلترا، على الرغم من أن دعوته لم تلق الاستجابة الشعبية الكبيرة لكنها نجحت في نهايتها، لقد كانت ثورة الشريف حسين تمرداً على الدولة العثمانية استغلتها انجلترا لصالحها وكسبتها[9].

بسبب هذه الثورة أصبح العربي خائناً بنظر التركي وكذلك ما مارسه الاستشراق والصهيونية ويهود الدونمة من تشويه لصورة العربي في الفكر التركي وهو ما أثّر على الفكر التركي حتى وقتنا الحاضر[10].

كانت الدول العربية تقع بين عاملين هامين أحدهما يجذبها إلى تركيا وهو كونها إمبراطورية إسلامية تمثل وحدة المسلمين وترابطهم. والعامل الثاني هو رغبة هذه الدول في الاستقلال وبناء نفسها بعيدًا عن الدولة العليا التي طالما أهملتها، فاشتدّت الحركات الاستقلالية ضدها وكان من أبرزها في مصر: حركة علي بك الكبير ثم حركة محمد علي، وفي فلسطين: حركة الزعيم البدوي ظاهر العمر (المعاصر لعلي بك الكبير)، وفي لبنان: حركة فخر الدين المعني ثم حركة الشهابيين، وفي العراق: حركات الباشوات المماليك، وفي قمتهم سليمان باشا (أبو ليلى)، وفي اليمن: حركة الزيدية، وفي الجزيرة العربية: قيام الدولة السعودية مع فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي شمال أفريقية: استبد بالسلطة زعماء محليون. وقد لعب السنوسيون دورًا كبيرًا في بعض أجزاء الشمال الإفريقي[11].

كانت المؤلفات العربية التي تحدثت عن الدولة العثمانية وحكمها في البلاد العربية منقسمة؛ الغالب منها يتناول الدولة العثمانية على أنها دولة احتلال وهي متأثرة بمدارس استشراقية، وهذه المؤلفات قد استغلتها الحكومات كمصادر لمناهجها في الدول العربية ككتاب لورانس "أعمدة الحكمة السبع" والتي أثّرت في صورة التركي لدى شعوبها وبالتالي أدى إلى تأثر الأدب والفكر فيها.

9 فراس الخطيب : هل ثار العرب حقا ضد الإمبراطورية العثمانية ، 2014، موقع www.noonpost.net

10 د. فاروق بوزكوز: صورة العرب لدى الاتراك في العصر الراهن، جامعة دجلة كلية اللآداب والفنون، قسم اللغات الشرقية و آدابها، دياربكر تركيا، www.ahlalhdeeth.com

11 أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الاسلامي من عهد ادم الى عصرنا الحاضر، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م، ج 1 ص 341

لكن في المقابل كان هناك بعض المؤلفات التي تبين حجم الافتراء الذي تعرضت له الدولة العثمانية وأنه لا يجوز بأي وجه اعتبار الدولة العثمانية دولة احتلال فلو كانت كذلك لما قادت الفتوحات الإسلامية إلى بلاد مختلفة وكذلك فتحها للقسطنطينية التي بشّر بفتحها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك كيف يمكن مقارنتها وهي إسلامية بدول الاستعمار الأوروبي الصليبية[12] ، ومن هؤلاء جهاد الترباني، وراغب السرجاني من خلال مواقعهم الإلكترونية، والمودودي في كتابه" الإسلام في مواجهة التحديات"، والمؤرخ محمد حرب في كتابه "السلطان عبد الحميد الثاني" والمؤرخ أحمد الجنابي " الاستعمار العثماني" والدكتور علي صلابي في كتابه "الدوله العثمانية عوامل النهوض والسقوط"، وكذلك الدكتور ابراهيم الداقوقي في كتابيه "صورة العرب لَدى الأتراك" و" صورة الأتراك لَدى العرب"، والذي يفصّل فيه الفرضيات والأسباب لتكوّن صور الأتراك عند العرب والعكس أيضاً وكذلك سيّار الجميل في كتاب "العرب والأتراك الإنبعاث والتحديث من العثمنة إلى العلمنة".

لكن ما الذي دفع بانقسام تلك النظرة لدى المؤلفين العرب حول الدولة العثمانية؟؛ فيرى الداقوقي أن هناك ثلاثة عوامل مشتركة لعبت في تشكيل صورة الأتراك لدى العرب:

الأمن القومي العربي.

الأتراك بين الإرث العثماني وأيدولوجية الدولة الحديثة.

المتغيرات الدولية في المنطقة ودور الإعلام الصهيوني.[13]

وإذا أخذنا بلد الأردن مثالاً؛ -كون ابراهيم نصر الله؛ كاتب الرواية التي سنتناولها بالدراسة نشأ في الأردن- في تدريسه لتاريخ الدولة العثمانية نجد أن هناك اتجاهين متناقضين: اتجاه يحمل الصورة الإيجابية والتي يؤمن به الاتجاه الديني القومي الليبرالي وتقابلها الصورة السلبية لدى الاتجاه القومي الاشتراكي[14]. لذلك قدّم مؤلفو الكتب المدرسية العثمانيين في صورتي التعصب الكامل والتسامح الواسع، ولكن فكرة التعصب هي التي ترسخت في ذاكرة النخبة العربية أكثر من التسامح لأن الإساءة أكثر إيلاماً، وتحول التعصب إلى فكرة نمطية سلبية سببها الاتحاديون وسياسة التتريك، أما صورة التسامح الإيجابية عن العثمانيين فقد

12 د. اميرة محمود: العثمانيون والعرب، دراسة من المنظور التاريخي الحديث، مجلة الاستاذ، كلية ابن رشد، بغداد، العدد 201 سنة 2012م

13 د. إبراهيم الداقوقي، صورة الأتراك لدى العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 2001، ص 33- 87

14 المرجع السابق، ص: 269

بقيت في الظل وتم نسيانها بمرور الزمن[15]. لذلك كان من الطبيعي أن تشيد هذه الكتب التي تدرّس بالأردن وريث الثورة العربية الكبرى، بتلك الثورة التي كانت الثورة الأولى في تاريخ العرب الحديث لتحقيق وحدة العرب واستقلالهم لتحرير الحجاز وبلاد الشام من الحكم العثماني الذي ابتعد في أيامه الأخيرة عن الشريعة الإسلامية ولجأ إلى شنق أحرار العرب، بعد أن عجزت الدولة عن دفع العدوان الاستعماري الأوروبي عن الوطن العربي نتيجة ضعفها، فكان ذلك عاملاً من عوامل زعزعة ثقة العرب بالعثمانيين ومنبهاً لهم للنهوض والتكتل من أجل دفع الخطر الذي يتهددهم[16].

لقد سار العرب والأتراك في خط تاريخي متوازٍ ما بين اختلاف واتفاق تخلله فترات قطيعة حسب المصالح والأحداث انتهت حيث نحن الآن مما يبذله حزب العدالة والتنمية من جهود مباركة منطلقاً من جذوره العثمانية لتوطيد العلاقات وبناء الجسور وارجاع المسار لاتجاهه الصحيح حيث أن الإسلام أقوى رابطة بين العرب والترك .

الدولة العثمانية في الروايات العربية:

مما يمكن ملاحظته من خلال مطالعة الروايات العربية إلى قلة الوجود التركي فيها إذا ما تمّت مقارنته بالوجود البريطاني واليهودي، في حين أن المسلسلات والأفلام العربية قد زخرت بتناول الأتراك بصورة نمطية لم تكن تختلف من فيلم لآخر وهي الصورة نفسها التي سنجدها في الروايات التي سنتاولها بدراستنا.

أولاً: رواية وجه الزمان، للروائي طاهر العُدوان:

طاهر العدوان روائي أردني تناول في هذه الرواية القضية الفلسطينية أيام الاحتلال البريطاني والاحتلال الصهيوني، حيث تدور أحداثها بين الأردن وفلسطين، كتبها عام 1987م. ومما جاء فيها:

"أيام العصملي جاء رسول من جمال باشا من دمشق يريد جنوداً للحرب، هربت الرجال إلى رؤوس الجبال، وقال لهم الشيخ عواد رحمه الله : إن أخذتم رجالنا مَن الذي يحمي ديرتنا؟ كيف نحمي ديرة غيرنا وديرتنا صدرها مكشوف"[17].

15 المرجع السابق، ص: 281

16 د. ابراهيم الداقوقي، صورة الأتراك لدى العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 2001، ص: 283-284.

17 طاهر العدوان، رواية وجه الزمان، وزراة الثقافة، عمان/ الأردن، الطبعة الأولى 2008، ص: 24

"جلس ضيف الله وقال جادّاً: مصائب الإنجليز أكثر من مصائب الأتراك، من يوم ما وقعت عيني عليهم في يافا وهم يضربون بالبندق على الناس ونفسي لا تطيقهم أبداً"[18].

في هذه الرواية لم يكن الكاتب متحاملنا على الدولة العثمانية كما غيره من الكتّاب ولم يَرِدِ على ذكرها إلا قليلاً من خلال استذكار شخصيات الرواية للعثماني وقت الاحتلال البريطاني والمقارنة بينهما.

ثانياً: رواية العودة من الشمال للروائي فؤاد القسوس:

فؤاد القسوس روائي وقاصّ أردني(1929م- 2014م). وروايته تؤرِّخ الواقع الإجتماعي الذي عاشه شرق الأردن قبل الأربعينيات من القرن الماضي، فالكاتب يصوّر لنا الحياة الإجتماعية بتفاصيلها، متناولاً أشكال العمل والطريقة المتبعة في تأمين متطلبات الحياة، وكيف أن هذا المجتمع كان يعتمد بشكل أساسي على المطر في الزراعة، وعن بعض علاقات الحب العذري، كما تطرّق إلى طريقة تعامل رجال الأمن ومنهم الجنود الأتراك مستغلين المكانة والسلطة، وكذلك الحديث عن الشام وحضارتها.

ومما جاء في الرواية :

"وازداد قلق عوّاد، فقد ربط بين مجيء هذا الجندي وبين قصةٍ رووا له أنها حدثت قبل عشرين عاماً -أيام الأتراك- وقبل أن يولد بأشهر ولم تزل القرية تذكرها جيداً...جنود أتراك يمرّون بالقرية ويمسك بعضهم بعض الدجاج ثم يضربون امرأة حاولت حماية دجاجاتها فينتصر لها أحد أبناء القرية ويضرب أحدهم فيهجمون عليه ويضربونه ضرباً مبرحاً أمام النّساء المؤلولات[19] والأطفال المذعورين، ثم يربطون يديه بحبل ويربطون طرفه الآخر بسرج أحد خيولهم ويجرونه وراءهم إلى سجن المدينة ويبقى هناك شهراً ثم يرسلونه منفياً إلى إسطنبول"[20].

"فصورة هذا الجندي الذي يمثل الحكومة كان يتخيلها امتداداً لصورة الجندي التركي وحكومته، وجوده بينهم معناه الظلم والقسوة وأخذ الضرائب والأغنام والأبناء قسراً للعمل

18 المرجع السابق، ص: 106

19 ولوَل يولوِل وَلولة ووَلْوالاً، فهو مُولوِل؛ ولولت المرأة: رفعت صوتها بالبكاء والصّياح. قاموس المعاني.

20 فؤاد القسوس، رواية العودة من الشمال،منشورات دار الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،1977، ص:45

في شقّ الطرقات ومدّ قضبان سكة الحديد لقد عاشت القرية عشرات السنين لا تكاد ترى من الحكومة التركية إلا هذه الصورة فنَمَت كراهية عميقة الجذور بينها وبين الحكومة"[21].

"صحيح أننا ابتلينا بالأتراك ولكنّهم خرجوا ولم نرَ منذ خروجهم تركيّاً واحداً في القرية أو المدينة"[22].

"كان من الممكن أن يصدّق ما حدث لو أن الأتراك في بلده، لقد اعتاد منهم كل شيء ولكنّ هؤلاء ليسوا بغرباء فرحوا مثله عند خروج الأتراك"[23].

"استشهِد أبي وهو يقاوم الأتراك واستشهِد ابن عمي وهو يحارب في ميسلون رحمهما الله ورحم جميع الشهداء الأبرار"[24].

ومن خلال تلك المواضع اليسيرة التي أوردها القسوس في روايته يتبين أيضاً أنعكاس صورة التركي المحتلّ؛ فالجندي التركي متسلط على الناس ظالم وقاسي لذلك هو غير محبوب لدى الناس .

ثالثاً: رواية العروس قاتلة من العصر العثماني، للكاتب محمد عادل :

العروس هي رواية تاريخية مثيرة, تدور أحداثها في عهد الحكم العثماني على مصر، بطلة الرواية هي ليلي خليل بنت عائلة تركية ثرية, تتم محاولة قتلها من قبل زوجة أبيها، ولكنّها تنجو لكي تُقسم ليلى على العودة يوماً ما وتنتقم. وتبدأ مسيرة من القتل، وخلال هذه المسيرة يستعرض المؤلف نماذج مختلفة من المجتمع المصري في ذلك الوقت.

" القاهرة عام 1590م تحت حكم الدولة العثمانية زمن الهوانم والبشوات والعوالم زمن النبلاء زمن الطغيان العثماني على مصر وزمن معاناة الشعب من الفقر والجهل والمرض والتخلف الشديد بسبب عدم اهتمام الدولة العثمانية سوى بنهب مصر ؛ هنا تدور أحداث قصتنا"؛ هذه مقدمة الرواية[25].

"قال لي والغضب يبدو عليه: لأن كل ما يهمّ العثمانيون هو نهب خيرات بلدنا دون أدنى اهتمامٍ بنا كل فترة يبعثون بوالٍ بغيض يسرقنا وينهبنا ويرحل"[26].

21 المرجع السابق ص: 46

22 المرجع السابق، ص:126

23 المرجع السابق، ص: 199

24 المرجع السابق، ص: 246

25 محمد عادل: رواية العروس قاتلة من العصر العثماني، مكتبة الابداع، 2009، المقدمة، نسخة الكترونيه

26 المرجع السابق,ص:13

وبغض النظر عن القيمة الفنية والأدبية لهذه الرواية إلا أنه يهمنا منها ذكرها للوجود العثماني في مصر، لكنّها لم تسلط الضوء على الحياة السياسية أثناء الحكم العثماني بل على الحياة الإجتماعية في ذلك الوقت ويظهر من خلال هذ الرواية أن الشعب المصري قد عانى من الفقر والجوع أثناء الحكم العثماني لمصر وقد تمركزت الثروة بيد أصحاب السلطة والمنصب.

رابعاً: رواية الرغيف للروائي توفيق يوسف:

رواية الرغيف للروائي اللبناني "توفيق يوسف" 1939 م، وهي رواية تاريخية زمن الحرب العالمية الأولى تروي حال البلاد العربية بعد اندحار الجيوش العثمانية من البلاد العربية وأساليب العثمانيين في الحكم في بلاد العرب والثورة العربية الكبرى وسفر برلك (حملة ترعة السويس الأولى) ويصف بها أدوار الخلافة العثمانية. في هذه الرواية يظهر الكاتب تجربته الخاصة التي عاشها لأنه عاصر الحكم العثماني للُبْنان وكان له من العمر أربع سنوات.

"قال أبي: قم انظر إلى العسكر!" فقمت وقام إخوتي وأخواتي ولحقت بنا أمي. ونحن على الشرفة نتزاحم شادين بحديدها، والجنود يمرّون على الطريق، ثيابهم رثّة مبلولة، تنوء أكتافهم بالبنادق وظهورهم بالأعلى، بعضهم في جزمات مقطّعة بالية، والأكثرون حفاة تغرق أقدامهم في الوحل". هذه هي صورة الجيش التركي ما بين 1914م و 1918م: جيش مهلهل وتعب ومهزوم، صورة جنود مقتولين تعباً وبرداً وجوعاً، وهي الصورة التي تبرزها أيضاً الرواية نفسها. ليس غريباً إذن أن يصدر عن هذا الجيش أفعال شنيعة تتمثل في القتل والتشريد.

يلحظ قارئ الرغيف ثلاث خصائص ينعت الكاتب بها الأتراك في هذه الرواية، وهي خصائص سوف تظهر في روايات أخرى، كما في رواية زياد قاسم "الزوبعة" (1994م) وهذه الخصائص هي: حب الأتراك للغلمان، وللنساء والذهب، والتعالي على العرب؛ حيث يظهر رشيد بك (أحد شخصيات الرواية) بأنه شخص يحتقر العرب ويحب النساء، والذي من أقواله: "إن العرب كلاب"[27].

خامساً: "الشيخ لافي الملك" لتوفيق فياض:

يعود الزمن الروائي في القصة إلى ما قبل عام 1948م بكثير، إلى نهاية حكم الأتراك لفلسطين واستعمارها من الإنجليز أي عام 1918م. ولكنّ النص ينجز عام 1978م أو قبلها

27 د.عادل الأسطة: صورة الأتراك في نماذج قصصية من بلاد الشام، جامعة النجاح الوطنية، كلية الآداب/قسم اللغة العربية، ص:5، نسخة الكترونية

بقليل، وكان الفلسطينيون قد مرّوا بتجارب عنيفة ابتداءً من النكبة عام 1948م وانتهاءً بالحرب الأهلية في لبنان عام 1976م، وكانت تجربتهم مع الآخرين تجربة مرة وقاسية، ولعل هذه التجربة تركت أثرها على إبراز صورة سلبية للآخر.

ولا تظهر في هذه القصة نماذج فردية تركية. إنها تأتي على ذكر الأتراك ذكراً إجمالياً كما يذكر بها غير الترك بصورة سلبية أيضاً، وفيها أن الشيخ لافي الذي ولد أيام حكم السلطان عبد الحميد ينصّب من نفسه ملكاً، وقد قاوم الأتراك والإنجليز والإقطاع الفلسطيني. لنقرأ المقاطع التالية:

"وكيف ظل واقفاً بعد أن أحرق الأتراك القرية"

"وتصديقاً لكلامه، فإنه يروي، أنه عندما كان " الجندرما" الأتراك يشعلون النار في القرية"

"مقْسِماً أنه سيظل يحاربهم إلى أن يخرجوا من بلاد اليمن، بل ومن بلاد العرب كلها"

"وإذا كان حافظ باشا من أتباع الأتراك، فإن رسوله ذو شارب مثل شوارب الأتراك"

"فساق الجنود الأتراك كل من صادفوه من شيوخ القرية ونسائها بالسِّياط إلى مقر حافظ باشا في جنين"

"وسرعان ما شاع في القرية أن جمال باشا السفاح، قد جاء على رأس جيش من دمشق لتأديبه وتعليقه مع جميع رجاله وكل من يأويهم، على أعواد المشانق التي راح الأتراك ينصبونها في كل القرى، كي يراهم الناس جميعاً فراح أهل البلد يفرّون بعيالهم إلى المغاور في الجبال"

"كانت المجاعة قد بدأت تفتك بالناس منذ السنة الثانية للحرب، إذ لم يترك الجنود الأتراك لدى الفلاحين شيئاً إلا أخذوه ."

ونحن هنا نرى صورتهم تشبه تلك التي برزت في الروايات السابقة: الأتراك حكاماً للبلدان العربية كانوا ظالمين قساة لا يرحمون يقتلون ويحرقون ويدمّرون ويخلّفون وراءهم الخراب[28].

سادساً: (بقايا صور، المستنقع، القطاف) ثلاثية حنا مينه:

يقول: "ولأن الأتراك اغتصبوا لواء الإسكندرونة، وعانى العرب مظالم لا حدّ لها على أيديهم، وكانت عائلتي قد تشرّدت من السويدية إلى الأناضول في "سفر برلك"، ثم أمضت أياماً صعبة في الحرب العالمية الأولى، حين سيق والدي إلى الجندية بغير سلاح، أي للخدمة

28 المرجع السابق، ص:8

في شق الطرقات ومدّ سكك الحديد وإقامة الاستحكامات، فقد نقمت على الأتراك، وخاصة العرقيين أو الطورانيين، وكتبت قصة قصيرة بعنوان " الذئاب التركية "

غير أن حنا مينه لا يكتب باستمرار عن الأتراك وكأنهم كل واحد متشابه. إنه يميز بينهم، وهو في كتابته عنهم ينطلق من منطلق يساري يميّز فيه بين مستغِل ومستغَل، بين جلاد وضحية، بين متعصب ورافض للتعصب، بين حاكم ومحكوم، ولا عجب أن أنجز حنا مينه كتابين عن الشاعر التركي اليساري ناظم حكمت عبّر فيهما عن إعجابه بهذه الشخصية التركية المناضلة.

أما ثلاثيته:" بقايا صور " (1975م) و " القطاف "(1986م) و " المستنقع "(1977م)، فقد حاول فيها أن يرسم كما يقول: "حياة طفل من خلال حياة عائلة، هذا الطفل هو أنا والعائلة عائلتي، وذلك التاريخ هو تاريخ العشرينات والثلاثينات، من هذا القرن(ق20)، وفيها ظهرت أولى بوادر الوعي والتمرد في المدينة والريف السوريين؛ ثلاثية حنا مينه هي، إذن، عمل روائي يندرج تحت باب رواية السيرة الذاتية.

لم يأت مينه في الجزء الأول " بقايا صور " على نماذج تركية بشرية لها ملامحها الخاصة. وذِكر الأتراك ورد في الصفحات الأولى من الرواية. تحدّث الأم ابنها عن أخيها، فتقول:

"خالك يا بنيّ أقسم ألا يأكل من قروانة الأتراك. وبرّ بقسمه فلم يأكل منها. كانوا يسوقونه إلى أعمال السُخرة، لأن السلاح ممنوع على أمثاله. وكان يأنف من السخرة ويتملّص بطرق مختلفة ويهرب "

يبرز مينه في الجزء الثاني " المستنقع " نموذجاً بشرياً تركياً. إنه يكتب عن شخص عرفه عن قرب وأعجب به، هنا تبدو الشخصية التركية ذات ملامح فردية، وهي شخصية لا صلة لها بالاستعمار أو الاحتلال، عدا أن معرفتها تمت في زمن آخر، زمن كان الأتراك فيه قد خرجوا من أكثر بلاد الشام. يصف حنا مينه هذه الشخصية فيقول:

"كان ربعة، أفطس الآنف، أبيض البشرة، دقيق التقاطيع، حاد الشخصية، يلبس قُلبقا، وسترة فوق صدرية مخملية، وبنطلوناً أنيقاً من نفس سترته أو من لون ينسجم معها، وحذاء ذا كعب عال خلافاً للزي الشائع. باختصار كان أنيقاً في غير إفراط، رقيق البنية، يدخن كثيراً، وله أظافر مقلمة نظيفة . وتلوح من هيأته كلها أمائر جدية، ويبدو غالباً في وضع المتأمل أو المنكر..."هنانرى نظرة مخالفة عن الروايات السابقة فحنا مينا قد كان متعاطفا مع هذا التركي

وأظهره بصورة ايجابية، وليس إبراز هذه الصورة بمستغرب من كاتب يساري النزعة، وقد عمق مينه هذه الصورة في دراساته التي أنجزها عن ناظم حكمت.

ويورد في " القطاف" : " كنت أقع بين أيديهم، فينقضون عليّ، ويعيدونني إلى الخدمة، وما هي الخدمة؟ إنها ليست حمل السلاح. إنها سخرة. العمل في شق الطرقات مدّ السكك الحديدية وحراسة المحطات، وكنا حفاة عراة جياعاً. كانت القروانة، وهي الوجبة الوحيدة في اليوم، عبارة عن ماء يغلي فيه حبات من العدس"[29]. ففرّق مينا في تناوله للتركي المدني عن التركي العسكري وهو منصف في نظرته فالمدني ليس كالعسكري والزمن الذي جاء به المدني مخالف لزمان ذلك العسكري .

وهو لايختلف بشيء عن الكتّاب السابقين لأنه عندما تحدّث عن التركي العسكري تناوله في نفس الزمن الذي تناوله الكتّاب السابقين؛ الزمن الذي انهارت فيه قوى الدولة العثمانية وعاثت بالبلاد العربية وأهلها الظلم والفساد.

سابعاً: الزوبعة للروائي زياد قاسم:

صدرت الطبعة الأولى من رواية الأديب الأردني زياد قاسم "الزوبعة " في عام 1994م، ويرى عبد الله رضوان أن مرجعية زياد قاسم في بنائه للرواية تقوم على اعتبار الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين بن علي إطار مرجع للرواية وتمثل الزوبعة التجربة الواقعية الأكثر أهمية وشمولاً في الرواية الأردنيةويمتد الزمن الروائي لهذه الرواية، ولجزئها الأول تحديداً، ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وعام 1918م، عام انتهاء حكم الأتراك البلاد العربية.

وكما الروايات والقصص السابقة المعاينة هنا يصور الأتراك تصويراً إجمالياً، ولكنّها تحفل بنماذج بشرية فردية لم تحفل بها أي من الروايات السابقة، وتحضر هنا النماذج في الرواية حضوراً لافتاً، وهذه الشخصيات هي أشرف التركي وزيد وجمال باشا السفاح، وكما يلاحظ فبعضها شخصيات روائية قد يكون لها نصيب من الواقع، وبعضها شخصيات تاريخية.

ويبدو الأتراك من حيث هم حكّام للوطن العربي، في تلك السنوات، كما بدوا في " الرغيف " وفي " الشيخ لافي الملك " وفي ثلاثية حنّا مينه. وكثيرة هي المواقع التي يبدون فيها قتلة غلاظاً وقساة، وتأتي الرواية على ذكر معارك حدثت بين بعض القبائل في الأردن وبين الجيش التركي.

29 المرجع السابق، ص:9- 10

ولئن كان أكثر الروائيين السابقين كتبوا عن حضور الأتراك في العالم العربي، فإن زياد قاسم يفرد صفحات من روايته ليكتب عن الحياة في المدن التركية، وبخاصة الآستانة، وفي هذه نتعرف على حياة المدينة، التي تحفل بمظاهر الفجور والدعارة، مثلها مثل باريس، في حينه، كما تبدو لنا صورة بعض الزعماء الأتراك الذين يميلون إلى اللهو والطرب والزنا. الأتراك، كما يبدون هنا، منهم القواد واللوطي ومحب الذهب والنساء، وهم ليسوا عساكر وحسب.

ولئن كنا نلاحظ في الروايات السابقة كتابة عن أتراك مقابل عرب، وعن إقطاع يتعاون مع الأتراك، فإننا هنا نقرأ هذا، ولكنّنا أيضاً نقرأ عن إقطاع عربي يتصاهر وإقطاع تركي. ثمة علاقة زواج ينجم عنها قرابة. ولكنّ علاقة القرابة سرعان ما تتأثر في زمن العداء القومي .

وتجدر الإشارة،بأن الكاتب عرض العرب هنا على أنهم ليسوا ملائكة. إنهم بشر يعانون الفقر والجوع، وهم مسلمون ونصارى وفلاحون وبدو وإقطاعيون، ولكل عالمه الخاص وإرثُه الحضاري. يكرهون بعضهم، ولكنّهم يتعاونون أيضاً مع بعضهم، وقد يتحاربون وقد يتهادنون.وهذا ما سنجده عند كاتبنا إبراهيم نصر الله في زمن الخيول البيضاء.

واشرف التركي، في الرواية، شخصية رئيسية، يصفه السارد في بعض صفحات الرواية على النحو التالي:

" كان أشرف ذا عقلية تنظيمية عجيبة وذا جرأة وقوة وصلابة. وأهم ما كان يميزه في عملياته هذه حقده التام على الناس، والذي أراد جمال باشا استثماره لإثارة الرعب والبلبلة في المناطق العربية، لإلهائهم عما يجري حولهم، والإنتقام منهم بسبب توجههم التحرري ونزعتهم الاستقلالية"[30].

من خلال ما سبق ذكره من الروايات نلحظ اتفاقها على نقل صورة واحدة عن الأتراك وهي الصورة نفسها التي نجدها عند عامة الناس في البلاد العربية التي تناقلتها الأجيال فيما بينها وهي كذلك الصورة التي تداولتها المسلسلات والأفلام، وهي أيضاً ما سنجده عند كاتبنا إبراهيم نصر الله؛ فهو خرج من هذه البيئة وتأثّر بها؛ صورة المحتلّ المستبدّ.

التعريف بالكاتب ابراهيم نصر الله وروايته " زمن الخيول البيضاء"

إبراهيم نصر الله الكاتب الروائي الأردني الفلسطيني سيرته الذاتية هي انعكاس حقيقي لتجليات إبداعاته الأدبية بإطارها العام، وتجسّدت من خلال مُجمل أعماله الأدبية والإبداعية

30 المرجع السابق، ص:12-14

إبتداء من الشعر مروراً بالرواية ووصولاً إلى الرسم والفن التشكيلي. وهذا التراكم والتكامل الإبداعي للكاتب تَرْجَمَهُ الشّتات الفلسطيني؛ خاصة أنه وُلد في إحدى مخيّمات الشّتات الفلسطينية وهو "مخيم الوحدات" في الأردن سنة 1954م من أبوين فلسطينيين هُجّرا من أرضيهما من قرية البريج الفلسطينية. درس الإبتدائية في مدارس الأُونوروا "وكالة الغوث" وحصل على دبلوم تربية وعلم نفس، ثم عمل مدرّسا في السّعودية،وقد مارس العمل الصحفي في الصّحافة الأردنية وعمل أيضاً في مؤسسة "عبد الحميد شومان" كمستشارٍ ثقافي للمؤسسة ومدير عام للنشاطات الثقافية فيها، بعدها تفرّغ للكتابة. وهو عضو في رابطة الكتّاب الأردنيين والاتحاد العام لرابطة الكتّاب العرب، لذا يُعتبر نصر الله من كتّاب الرواية الحديثة في الأردن أمثال تيسير السبول وغالب هلسا، وقد انتشرت رواياته على مستوى عالمي وتناولها كثير من الأكاديمين لدراستها ضمن دراستهم للماجستير أو الدكتوراة، كما تُرجم الكثير منها إلى لغات عديدة كالإنجليزية والتركية والإيطالية والدنماركية.

زمن الخيول البيضاء: إحدى روايات الكاتب إبراهيم نصر الله، وهي ضمن سلسلة روايات الملهاة الفلسطينية المشهورة؛ رواية ملحمية تاريخية يصوّر فيها نصر الله حياة الفلسطيني في قرية الهادية وما تعاقب عليها من سلطة دولٍ وأفرادٍ وكيف طورد وطُرد وتشرّد من بلاده. وقد صدرت هذه الرواية متزامنة مع الذكرى الستين لإحتلال فلسطين عام 2007م، يتوج بها الشاعر والروائي إبراهيم نصر الله مشروعه الروائي الكبير (الملهاة الفلسطينية) الذي بدأ العمل عليه منذ عام 1985م, و الذي صدر منه ست روايات (وزمن الخيول البيضاء هي السابعة) لكل رواية منها أجواؤها الخاصة بها وشخوصها وبناؤها الفني واستقلالها عن الروايات الأخرى. وهى رواية ترتكز على جانب خياليّ في علاقة الإنسان بالخيل، وعلى جانب توثيقيّ في سرد الأحداث بترتيبها التاريخيّ. يتأمل الكاتب إبراهيم نصر الله في هذا المشروع (الملهاة الفلسطينية) تاريخ الشعب الفلسطيني برؤية نقدية عميقة ومستويات فنية راقية؛ انطلاقا من تلك الحقيقة الراسخة التي عمل عليها دائماً والتي تقول بأن إيماننا بالقضايا الكبيرة يحتّم علينا إيجاد مستويات فنية عالية للتعبير عنها.[31]

يقول ابراهيم نصر الله إن ما دفعه لكتابة هذه الرواية محاولته لفهم ما حدث، وكيف انقلبت الآية بهذا الشكل المروّع حتى يُقتلع أصحاب الأرض من أرضهم. حيث أنه ينتمي إلى جيلِ ما بعد النكبة ولم يجد ممن سبقوه أحداً كتب بالتفصيل عن ظروف النكبة.

وقد قسّم نصر الله الرواية إلى ثلاثة كتب :

31 Ahmet Bostancı, *İbrahim Nasrallah ve Filistin Konulu Romanları*, İstanbul: Paradoks Yayınları, 1. baskı. 2013, s. 77-78.

الكتاب الأول: الريح وفيه يتناول حياة الفلسطيني في أواخر الإمبراطورية العثمانية .

الكتاب الثاني: التراب خلال الاستعمار البريطاني.

الكتاب الثالث: البشر وهو سقوط فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني.

أي من أواخر القرن التاسع عشر حتى النكبة عام 1948م؛ أي ما يقارب سبعة عقود من تاريخ الشعب الفلسطيني.

الدولة العثمانية في زمن الخيول البيضاء:

بدأ حكم العثمانيين لفلسطين في عهد السلطان سليم الأول (1512م- 1520م) بعد أن استولى جيشه على الأرض التي كان يسيطر عليها المماليك. ورغم أن خليفة السلطان سليم؛ سليمان العظيم (1520م- 1566م) قد حصّن أسوار القدس وجعل منها حصناً منيعاً لقواته إلا أن الحكم العثماني ضعف في فلسطين في القرنين السابع عشر والثامن عشر وباتت البلاد عرضة للغزو في مطلع القرن التاسع عشر عندما أرسل محمد علي ولده ابراهيم باشا في حملة من مصر إلى سوريا.

وفي أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر عندما عادت السيطرة العثمانية على فلسطين وذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876م- 1909م)، قسمت السلطات العثمانية ريف فلسطين إلى مقاطعات ومناطق حكمها الشيوخ والأمراء المحليون.

طرأ في نهاية القرن التاسع عشر تغير حاد وفجائي على ريف ومدن فلسطين فَمَع الآنهيار العثماني ظهر التسابق الأوروبي للسيطرة على مناطق نفوذٍ لهم في فلسطين التي كانت موطن الأديان الثلاثة وانخرطت بهذا الصراع كلّا من لندن وباريس وروما وبطرس برغ واسطنبول، وتمخض عن هذا الصراع احتلال بريطانيا لفلسطين في العام 1917م[32].

ولقد كان الحكم العثماني لفلسطين خلال مجموعة من القوانين التي تتبدّل وفق حالة الدولة وكلما تهاوت الدولة وضعفت زادت حاجتها للمال وبالتالي الضغط على المواطنين وزيادة الظلم والضرائب خصوصاً بعد خلع السلطان عبد الحميد من الحكم من قبَل مجموعة "تركيا الفتاة" سنة 1909م والتي قامت بتبنّي دستور يحفظ الحقوق والحريات لجميع أجناس أبناء الدول ولكن تطبيق هذا الدستور ساعد على تفكك واستقلال كثير من تلك الدول، وإعلان بعض دول البلقان الحرب عليها والذي بدوره يعتبر تهديداً لتركيا لخسارة ما تبقى لها

32 باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون 1876- 1983، ترجمة الهام بشارة الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 1991،ص 16

من دول أخرى؛ هنا أوقفت تركيا الفتاة العمل بهذا الدستور عام 1913م وأعلنت حكم الحزب الواحد قبيل دخولها الحرب لجانب ألمانيا وأسست بقيادة ثلاثة باشاوات سيئي الصِّيت (اينفر وطلعت وجمال) ديكتاتورية عسكرية[33].

انعكست قوة الدولة العثمانية وضعفها على حال فلسطين فبداية أي حضارة ليس كنهايتها حتماً, لذا سنرى انعكاس هذا الأمر في رواية زمن الخيول البيضاء لا سيما أن كاتبنا نصر الله اعتمد على مراجع تاريخية في كتابته لهذه الرواية كما أوردها في نهاية الرواية، ونذكر منها: مذكرات محمد عزت دروزة وكتابه القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ومذكرات خليل السكاكيني، وقضاء يافا في العهد العثماني، والموسوعة الفلسطينية، وغيرها.

كتب أديبنا إبراهيم نصر الله روايته زمن الخيول البيضاء فجعلها من (الملهاة الفلسطينية). وقسمها إلى كتبٍ ثلاثة أطلق عليها اسم: الريح والتراب والبشر. وقسمها زمنياً بحسب الدولة المسيطرة على فلسطين فكان كتاب الريح عن الدولة العثمانية في أواخر عهدها، وكتاب التراب: عن بريطانيا وكتاب البشر: عن الدولة الصهيونية . ويحتل كتاب الريح الترتيب الثاني بين الكتب الأخرى من حيث عدد الصفحات؛ حيث كان عددها 176 صفحة, ويسبقه كتاب التراب. وهذا لا يعني أنه في الكتابين الآخرين لم يرِد ذكر الدولة العثمانية كما في حال المنولوج الداخلي أو الاسترجاع.

ودلّ على اختيار إبراهيم نصر الله اسم (الريح والتراب والبشر) أسماء لكتب روايته الثلاثة، ما كتبه تحت اسم الرواية حيث قال "لقد خلق الله الحصان من الريح والإنسان من التراب" (قول عربي). والبيوت من البشر (إضافة).[34]

والذي يهمّنا أن نلقي الضوء عليه في هذه المقالة من هذه الأقسام الثلاثة هو الكتاب الأول : الريح؛ الذي يتناول فيه زمن الحكم التركي لفلسطين.

صحيح أن نصر الله ذكر في القول العربي أن الخيل خُلقت من الريح لكنّ هناك دلالات تحتملها الكلمة؛ كأن تكون دلالة على الانتقال من مكان لآخر كما الريح، أو تكون ريح انجليزية محتلّة تقتلع جذور الخلافة العثمانية في أواخر ضعفها من فلسطين.

هنا تبدأ الرواية. صوت الريح يتصاعد مؤْذنا بنهاية الخلافة العثمانية التي ضعفت. كان يجب أن يُحْكِم آخر سلاطين الخلافة غلقَ الأبواب والنوافذ حتى لا تذهب مع ثورة ريح

33 فلسطين والفلسطينيون ، ص 17-26 بتصرف.

34 إبراهيم نصرالله، رواية زمن الخيول البيضاء، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت، الطبعة السابعة، 2013، ص3 (الغلاف الداخلي).

الإنجليز المجرمين. ومن هنا بدأ ضياع فلسطين بضياع أراضيها وذلك بفساد الحكّام وكثرة الظلم الذي مارسه رجال الدّرك في الجيش العثماني (من جمع للضرائب بطرق تعسُفية، وبطْش الأعوان بشكل لا يقبله أي أحد، حروب خاسرة، بيع قرى، تعذيب أهالي القرى وتخريب بيوتهم ...إلخ من مظاهر الإستبداد) ومن صور هذه المظاهر الواردة في الراوية نورد ما يلي:

تجنيد العملاء ومنحهم السلطة والقوة اللازمة للإستبداد:

يقول القائمقام للهبّاب[35]: "تعرف أننا نختار دائماً عدداً من التجّار والوجهاء والمرابين الذين نثق بهم، ليدخلوا في مزاد عام كل سنة، والذي يفوز يدفع لنا الضرائب المترتبة على أهل منطقته مُقدّماً، ثم نمدّه بالقوة اللّازمة لتحصيل ما دفعه..." وأما ما نريده منك فهو إذلالهم، أولئك الذي باتوا يتجرؤون على رفع أصواتهم مطالبين بالإنفصال... [36]، وبدأت النزعة العربية تستيقظ في وقت استسلم فيه كثيرون من الوجهاء والزعماء لمطالب الأتراك[37].

غصب الأموال وجبايتها بحجة الضرائب وبيع أراضي من لا يدفع الضرائب:

" إلا أنّ كل شيء بدأ يتأرجح حين راحت الإمبراطورية العثمانية تتأرجح وبدت مستعدة لأن تفعل أي شيء مقابل الحصول على المال والرجال كمجنِدين، فأطبق مأمورو الضرائب على القرى من جميع الاتجاهات. وبات على الناس أن يدفعوا الضرائب لا عن محصولهم وحده، بل عن رؤوس خيلهم وأغنامهم وبهائمهم، ووصل الأمر إلى أن يدفعوا الضرائب عن كل رأس آدمي..." [38] وفي موضع آخر: "بعد أن قام الأتراك ببيع عشرات القرى في المزاد العني لملّاك من سوريا ولبنان بعد أن عجزت هذه القرى عن دفع العُشر لسنوات متتالية، وتراكمت عليها الدّيون". [39] "مع بدء الفوضى التي راحت تعمّ أرجاء الدولة، الدولة التي هبّت عليها من كل مكان ديونها المتفاقمة والتي باتت تدفعها لمزيد من القسوة، بدءاً من فرض ضرائب جديدة وانتهاءً باقتياد الرجال إلى حروب لم يعرفوا الأماكن التي تدور فيها أو يسمعوا بها من قبل" [40] "ذات يوم أشار عليه أصدقاؤه في الرّملة أن يُسجّل الأرض باسمه لأن

35 الهبّاب: من الشخصيات الأساسية في الرواية؛ رجل فاسد وظالم جدا، يُعيّنه القائمقام زعيما لعدة قرى، فيظلم أهلها ويتجبر بهم إلى حد أخذِ المرأة من زوجها وقتله أمام أعينيها.

36 الرواية، ص 27

37 الرواية, ص 136

38 الرواية، ص 46

39 الرواية، ص 60

40 الرواية، ص 63

الكوشان[41] حجة الحجج, ولكنّه كان يعرف أن وجود الكوشان كان يعني شيئاً واحداً، هو أن تدفع ضرائب أكثر"[42].

قاد إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914م إلى موجة من القمع ضد الفلاحين أدت لفقدانهم موارد رزقهم وروابطهم الإجتماعية بل وتدمير الريف أيضاً فعشرات الآلاف من الفلاحين الذين فقدوا أقاربهم خلال حرب القرم التي حصلت قبل ستين عاماً، يستدعون الآن للتجنيد الإجباري الى أماكن بعيدة وصُودِر الغذاء والماشية وقطعت الأشجار لتستخدم كوقود وسيقت قرى بأكملها للتجنيد الإجباري – في هذ الفترة بالذات بدأت الهجرة من فلسطين- وكان أغلب المهاجرين من المقتدرين ولكنّ الأقل حظاً وهم الفلاحون لم يكن أمامهم سوى البقاء مواجهين التجنيد الإجباري والموت جوعاً ومرضاً من الأوبئة .كان الدمار كبيراً لدرجة أنه حتى بداية 1919م لم تتمكن الإدارة العسكرية من الابتعاد عن مشاكل توفير الغذاء والثياب والطاقة للسكان إلى مهمة تشكيل حكومة جديدة، ولكن في هذه اللحظات لم يعد الفلاحون وسكات المدن بمزاج يسمح لهم بالابتهاج لسقوط الحكم العثماني لأنهم اكتشفوا أن فترة احتلال وحشي قد انتهت يحل محلها احتلال آخر رغم أن هذا الاحتلال غريباً ومدمراً أكثر[43].

التجنيد الإجباري للشباب وإرسالهم إلى أماكن لا يعرفونها مما أدى إلى ظهور الفِراري:[44]

"فجأة ضاعفت الحكومة أعداد الشباب الذين تحتاجهم جنوداً ولم يُفلت من ذلك سوى قلة قليلة، أولئك الذين كان بإمكانهم أن يدفعوا بدلاً للحكومة مقداره ستون ليرة عثمانية ولم يكن بالمبلغ القليل إلا أن ذلك لم يُعفيهم من الخدمة لمدة ستة أشهر في أقرب موقع لقُراهم ومدنهم، أما أولئك الذين لم يكونوا يستطيعون الافلات بمالهم أو فِرارهم فقد كانت القطارات في انتظارهم لنقلهم للخدمة في أماكن لا يعرفون عنها شيئاً "[45].

41 الكوشان كلمة تركية koçan وهي عبارة عن وثيقة رسمية لملكية الأرض (صك أميري)، قاموس المعاني

42 الرواية، ص 33

43 فلسطين والفلسطينيون ، ص46-47

44 الفِراري: الهارب من التجنيد؛ من فرّ أي هرب ، وهي كلمة تركية أصلها عربي
Hamza Ermiş, *Arapçadan Türkçeleşmiş Kelimeler Sözlüğü*, İstanbul: Ensar Neşriyat, 2008, 167

45 الرواية، ص141

"باقتياد الرجال إلى حروب لم يعرفوا الأماكن التي تدور فيها أو يسمعوا بها من قبل".[46] "صحيح أن حوادث كثيرة يتعرض لها جباة الضراب ورجال الدّرك الذين يرافقونهم في العادة من قِبَل أولئك الفِرارية الذين التجأوا للجبال هربا من التجنيد والبطش التركي "[47]"لولا الظلم يا شيخ ناصر لما وصلنا إلى ما نحن فيه من الضعف، والإنحطاط، فها أنت ترى كيف أصبح معاملة الضباط الأتراك للجنود العرب، وكيف أصبح هؤلاء يفرّون من الجيش، وبدأت النزعة العربية تستيقظ في وقت استسلم فيه كثيرون من الوجهاء والزعماء لمطالب الأتراك ولك أن تتأمل حادثة قيام جمال باشا بشنْق ابن فوزي العظم"[48]

إن سياسة التجنيد الإجباري والضرائب الباهظة ومصادرة الأراضي والحيوانات والعقارات وتسخيرها لخدمة الجيش العثماني أدت إلى اختفاء آخر تأييد ممكن للإمبراطورية في الأقاليم العربية كما رافق انهيار الإمبراطورية العثمانية اضطراب أيدلوجي أصاب العالم العربي حيث فشلت تركيا الفتاة في تطبيق برنامج الإصلاح الديمقراطي فعمدت إلى سياسة التتريك عام 1914م لمواجهة الإثنيات القومية، مما أدى إلى بلورة شعور بالعزلة والاضطهاد أدى لانحصار الخيار العربي في بلاد الشام والجزيرة العربية بإحدى أمرين: إما المطالبة بالحكم الذاتي أو الاستقلال التام، وكانت نهايته اتخاذ قرار الثورة العربية الكبرى[49].

جشع رجال الدّرك واستغلالهم سلطتهم:

"فكل الرجال كانوا ضيوفاً أعزّاء وتُذبح لهم الذبائح باستثناء رجال الدّرك التركي، أياً ما كانت الرتبة التي يحملونها، فهؤلاء كانوا يتصرفون أحياناً على هَواهم، فتمتدّ أيدهم لأي خروف أو سخل يريدون، يذبحونه بأيديهم، ولا يكتفون بذلك، بل يأخذون معهم ما تطاله أيديهم لوجباتهم التالية من حمام ودجاج وديوك رومية".[50] "بعد قليل عاد الدّركي الطويل يجرّ بقرة ...وبلمح البصر استلّ خنجراً من مكان خفي ونحرها".[51] " على مدى يومين ...كان الجنود يتصرّفون كما لو أن القرية قد تحوّلت إلى معسكر لهم "[52] "وأن من

46 الرواية، ص 63
47 الرواية، ص 124
48 الرواية، ص 136
49 فلسطين والفلسطينيون، ص: 26
50 الرواية، ص 79
51 الرواية، ص 116
52 الرواية، ص 116

استولى عليها هم رجال الدّرك الآخرون الذين جاؤوا للبحث عن رفاقهم. وكانت رواية كهذه تُسرُّ الناس أكثر لأنها تؤكد لهم حجم

ذلك الجشع الذي يعرفونه تماما في رجال الدّرك"[53]. "عند المغيب ركب رجال الدّرك خيولهم، قاصدين التلال الغربية محمّلين بكل ما وقعت عليه أعينهم من أشياء ثمينة وما امتلأت به سروجهم من أموال"[54].

استغلال ضعف الناس وجهلهم:

"لماذا ندفع للدير ليقوم بتسديد الضرائب عنا، لأنه يعرف أكثر منا ...فلو ذهبنا نحن لتضاعف ما علينا ربما، وها أنت ترى نحن نحاول الإفلات من بين أنياب الأتراك بأي طريقة".[55]"فلاحون أغبياء لا يعرفون بأن كلّ مراجلهم لا تصمد أمام لمسة

زناد. قال الياور".[56]

مطاردة رجال الدّرك للشباب مما جعلهم يحتمون بالجبال:

" أما الشيء الأكيد الذي كان باستطاعة البيكباشي[57] تحقيقه فهو إصدار مزيد من الأوامر لجنوده، الجنود الذين لم يعودوا

قادرين على الإمساك بأي من أولئك الذين يطاردونهم لفرط التعب".[58] "انشغال الدولة في حروبها مكّن كثيراً من المُطارَدين أن يعودوا خِلسة إلى بيوتهم يمكثون فيها ليلة.إلاّ أن كل نزول من الجبال كان يعني مخاطرة أكيدة، إذ بات أمرُ إصدار أمرٍ

بشنق إنسان أكثر سهولة من أي شيء آخر".[59]" سمع كريم أن المطاردين يتسلّلون ليلاً إلى بيوت أهلهم" [60].

---

53 الرواية، ص 125

54 الرواية، ص 117

55 الرواية، ص 33

56 الرواية، ص 119، الياور : كلمة تركية ومعناها الضابط المرافق، وهي ايضاً رتبة عسكرية عثمانية وتعني رئيس حرس الأمير/ قاموس المعاني

57 البيكباشي: كلمة تركية أصلها bin başı لكن المصريين يلفظونهابالكاف؛ وهي رتبة رائد في العسكرية/ قاموس المعاني

58 الرواية، ص 134

59 الرواية، ص 138

60 الرواية، ص 148

الوحشية والقسوة والتخريب:

"فكان تعذيب الأهالي دون تفريق بين شيخ أو امرأة أو طفل فلا مكان للإنسانية:تحولت الهادية"[61] "إلى معسكر، ولم يبق شيء

يمكن أن يفعله رجال الدّرك ويقلب حياتها إلى جحيم إلا وفعلوه بعد الضحى بقليل هدأت أصوات كثيرة ... ونادى صوت: لقد رحلوا . فاندفع البشر يتراكضون كلٌّ نحو بيته. لكنّهم، وكما لو أن العالم كلّه توقّف فجأة، وقفوا دهشين أمام الخراب الذي طال كل شيء، ممزّقا أحشاء البيوت وأبراج الحمام وحظائر المواشي والأبقار التي كانت تئنّ بأرجلها المقطّعة وهي تحاول عبثاً الزحف أو الوقوف"[62]. "وبعد خمسة أيام طويلة حدث ما لا يتوقعه أحد، سيق ما تبقى من رجال الهادية إلى ساحة المضافة، وحُشر بعضهم

داخلها، وسيقت النساء والأولاد إلى المسجد وأقفلت عليهم الأبواب، وفي حارة أخرى من حارات القرية كان الشيء نفسه يحدث"[63]. وفي موضع آخر ورد:" أحرقتم، خربتم وعقرتم مواشيهم. صدقني، ذلك لا يعني بالنسبة لهم أي شيء في النهاية، ما دام شبابهم

قد أفلتوا من قبضتنا، فشعار حياتهم (في المال ولا في العيال)"[64]. "غادر الجنود الهادية بعد أن خلطوا زيتها بطحينها، وتركوا أحشاء

البيوت ممزقة في شوارعها وأحواشها للمرة الثانية"[65]."قاسية جاءته الضربة من الخلف غاصت جزمة الياور في ظهره واقتلعته من مكانه فسقط على وجهه فوق موقد النار ودِلال القهوة، [66] وعندما حاول النّهوض تلقى ضربة أخرى بعقب بندقية الياور فرفعه الألم عالياً وألقى به عند باب المضافة"[67]. "كانت المشانق التي ملأ بها الأتراك البلاد تملأ الشوارع والتلال المحيطة، وتنصب في الريح كفزّاعات

61 الهادية؛ القرية التي تدور بها أحداث روايتنا زمن الخيول البيضاء؛ والتي اختزل بها _ كاتبنا ابراهيم نصرالله_ فلسطين

62 الرواية، ص 132

63 الرواية، ص 132

64 الرواية، ص 133

65 الرواية، ص 143

66 دِلال : جمع دَلّة من دلْو . وهي ابريق يصنع به القهوة/ المعاني

67 الرواية، ص 115

شرهة تتطلع لأعناق الناس بنهم مجنون، ولن يمضي الكثير من الوقت، قبل أن يأتي لها الإنجليز بما تحتاجه من فرائس"[68].

كل صور الإستبداد السابقة أدت الى حالة من الفوضى والفقر والجوع الشديد وأدت الى تمرد الشباب وتشردهم في الجبال للهروب من التجنيد كما أسلفنا ذكره ووصل ضيق الحال والفقر بالناس إلى درجة لايمكن تصوّرها: "وقد وصل الحال بالناس إلى أن يُخرجوا القشّ الناشف من سطوح بيوتهم ليُطعموا به حيواناتهم، ويفتشوا في روثها عن حبات الشعير التي لم تُهضم"[69].

وبعد استعراض كل تلك المواضع نلحظ أن إبراهيم نصر الله كان من صفِّ أولئك الأدباء الذين صوّروا الدولة العثمانية في رواياتهم بصورة سلبية تلك الصورة التي رسخت في عقول كثير من أبناء المجتمع العربي وانتقلت عبر الأجيال وانعكست في الكتب والروايات، حيث لاحظنا تكرار كثير من الحكايات المتشابهة في تلك الروايات؛ هناك نقاط التقاء بين نصر الله و القسوس والعدوان وقاسم وغيرهم، والتي نقلت صورة التركي في أواخر العهد العثماني صورة سيئة مظلمة لم تستطع انجازات الدولة العثمانية السابقة والحاضرة حتى الآن في كثير من هذه البلاد أن تمحوها.

ورواية زمن الخيول البيضاء هذه هي الأحدث من بين الروايات السابقة التي تم عرضها في مقالتنا هذه وتميزت عنها في الأسلوب واللغة والصياغة وهذا بشهادة النّقاد والأدباء.

ومما يجدر الإشارة إليه أن تناول إبراهيم نصر الله للدولة العثمانية بهذه الصورة لم يكن مقتصراً على هذه الرواية، فرواياته التي تطرّق فيها لذكر الدولة العثمانية كانت بنفس الصورة، وهذا ما حدا البعض لاتّهام نصر الله بمعاداته للدولة العثمانية وفي ذلك يقول :

"ليس لدي أي عداء مع العثمانية ، عدائي مع الفساد الذي أصاب الدولة العثمانية وأرهقها، ما أدى إلى نهايتها، وكذلك أرهقَ الشعوب العربية وشعوباً أخرى في العالم، ولنتذكر رواية (جسر على نهر دارينا)لإيفوإند ريتش حول هذه المسألة.

الكتابة ضد الفساد وضد التضييق على الشعوب، وهذا ما قمتُ به. الكتابة مع العدالة، ومع جوهر الدين والمبادئ الإنسانية الكبرى.

لقد كتبت دائماً ضد الفساد في العالم العربي ولكنّ هذا لا يعني أنني ضد البلاد العربية، وكما كتبت عن الفساد العثماني في زمن الخيول كتبت عن الفساد الفلسطيني أيضاً، ولكنّ هذا

68 الرواية، ص 335

69 الرواية، ص 155

لا يعني أنني ضد وطني. وهذا ما كتبته في كثير من روايات (الملهاة) ضد الفساد الفلسطيني ولكن لا يعني أنني ضد فلسطين،كما لا يعني أنني كتبت ضد بريطانيا في زمن الخيول أنني ضد بريطانيا كوطن وشعب، أن تتكتب ضد الخراب وضد الظلم، وهذا ما تفعله أي كتابة حرة في العالم"[70].

النتيجة:

لقد تناوبت على حكم البلاد العربية كثير من الدول والحضارات الإسلامية وكان آخرها الدولة العثمانية، فلا يمكن لأحد أن ينتصر إلى الأبد لم يحدث أبداً أن ظلت أمّة منتصرة إلى الأبد، ولأنها الأخيرة ظل ارتباطها بالحاضر وثيقاً فهي تتزامن مع جيل عشنا معه والذي بدوره كان حلقة الوصل وناقل الواقع الذي عايشوه أثناء حكم العثمانيين، فما وصلت له الدولة العثمانية من تردٍّ للأوضاع في آخر عهدها والذي لعبت به أمور مجتمعة؛ فلقد نجحت بريطانيا والدول الأخرى بمساعدة عملائها العرب وجمعية الاتحاديين الأتراك ويهود الدونمة من خلق أحداث للإجهاز على آخر رمق للإمبراطورية العثمانية في بلادنا العربية وساهم الضعف الذي ابتلِي به السلاطين العثمانيين وابتعادهم عن المنهج الديني في حكمهم وتمرّد أمرائهم عليهم في هذه البلاد، جعلتها تنتهج سياسات قمعية وظالمة والتي طَبعت الصورة السيئة في عقول ذلك الجيل والذي بدوره نقله لنا.

لذلك كان للتاريخ وللروايات الشفوية التي تمّ تناقلها أكبر الأثر في التأثير على كتابات كثير من الأدباء ومن بينهم كتّاب الروايات التي تناولناها وعرضنا فيها صورة العثماني والدولة العثمانية حيث اتفقوا على الصورة السلبية له، فهو المحتل المستبد صاحب الأخلاق السيئة. لكن هذا لم يمنع أحدهم مثل حنا مينة من ذكر عينات صالحة في رواياته كانت خارج الثوب العسكري وزمنه. لأن التاريخ كما نقل الصورة السلبية نقل معها أيضا صوراً حسنة لا يمكن إغفالها. كما أنها لم تغفل عن نقل صورة المحتل البريطاني أو الصهيوني.

لكن الذي يعزّينافي هذه الكتابات أنها جميعا عكست صورة التركي في أواخر عهد الإمبراطورية. العهد الذي تكالبت عليه قوى داخلية وخارجية نجحت في إحكام لعبتها وحشد المؤيدين لها واسقاط أعظم امبراطورية ومعها سقطت قوة الدول الإسلامية وضياع فلسطين، ولم تقم لها قائمة إلى يومنا الحاضر.

70 مقابلة شخصية، 2014/08/29م، عمان/ الأردن.

وقد كان هذا حال كاتبنا نصر الله أيضاً فيؤكد من خلال روايته (زمن الخيول البيضاء) على أن أسباب كثيرة مجتمعة حالت دون الحفاظ على فلسطين ووقوعها تحت الاستيطان الصهيوني، فليس هناك جهة واحدة مسؤولة فالكثير مُدَان. وقد أظهر نصر الله ذلك من خلال رواية زمن الخيول البيضاء وقصة بطلها خالد وفرسه الحمامة؛ بأسلوب مبدع وراق، نقلنا معها في ثلاثة أزمان بدأها بريحٍ صاحبت زوال الدولة العثمانية فتارةً تكون هادئة كما الهادية وتارةً عاصفة وهو الحال الذي حطّتنا به لزمن لم ينتهي عهده بعد وما زلنا نعاصره.

قائمة المراجع:

د. ابراهيم الداقوقي, صورة العرب لدى الأتراك,مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، الطبعةالثانية ، 1998 .

د. ابراهيم الداقوقي، صورة الأتراك لدى العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001.

إبراهيم نصر الله، رواية زمن الخيول البيضاء، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت، الطبعة السابعة، 2013.

إبراهيم نصر الله، عمان، الأردن، 2014/08/29.

أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الاسلامي من عهد ادم الى عصرنا الحاضر، الناشر غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض) الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م

.د. أميرة محمود ، العثمانيون والعرب، دراسة من المنظور التاريخي الحديث، مجلة الأستاذ، كلية ابن رشد، بغداد، العدد 201 سنة 2012م.

باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون 1876- 1983، ترجمة الهام بشارة الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى:1991.

سيّار الجميل ، العثمنة الجديدة القطيعة في التاريخ الموازي بين العرب والأتراك، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى 2015.

طاهر العدوان: رواية وجه الزمان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى:2008.

د.عادل الأسطة: صورة الأتراك في نماذج قصصية من بلاد الشام، جامعة النجاح الوطنية، كلية الآداب/قسم اللغة العربية (نسخة الكترونية).

علي محمد صلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى 2001.

د. فاروق بوزكوز: صورة العرب لدى الأتراك في العصر الراهن، جامعة دجلة كلية اللآداب والفنون، قسم اللغات الشرقية و آدابها، دياربكر / تركيا.
www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=77771&d
فراس الخطيب: مقالة: هل ثار العرب حقا ضد الإمبراطورية العثمانية ، 2014 ،موقع www.noonpost.net
فؤاد القسوس: رواية العودة من الشمال، منشورات دار الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى:1977.
قاموس المعاني: www.almaany.com
أبو جعفر،محمد بن جرير الآملي، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387هـ .
محمد عادل: رواية العروس قاتلة من العصر العثماني، مكتبة الابداع (نسخة الكترونية).
د. نعيم اليافي، وماهر المنجد, صورة التركي في الشعر العربي الحديث،شعر المشرق والمهاجر1870- 1920, دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى:1995م.

Ahmet Bostancı, *İbrahim Nasrallah ve Filistin Konulu Romanları*. İstanbul: Paradoks Yayınları, 1. baskı. 2013.
Hamza Ermiş: *Arapçadan Türkçeleşmiş Kelimeler sözlüğü*. Ensar Neşriyat. İstanbul:2008
Ömer Sağlam: *Çöldeki Osmanlı ve Kavm-i Necib*. TDV Yayın Matbaacılık ve Ticaret İşletmesi. Ankara-2003.
M.Talha Çiçek: "Osmanlıcılık İdeolojisi ve Osmanlı Hâkimiyeti Sonrası Türk-Arap İlişkilerinde Değişim ve Süreklilik", *Divan Disiplinlerarası Çalışmalar Dergisi*, cilt 17 sayı 33 (2012/2).
Sinan Marufoğlu: 2. *Meşrutiye Sonrasında Avrupalı Devletlerin Arapları Osmanlı Devletine Karşı Kışkırtma Girişimleri,* İstanbul, İslam Tarih Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi. 2012.